فرض السيادة المعيشة في مواجهة العنف المعرفي والوجودي داخل الأكاديميا الاستعمارية الاستيطانية

نادرة شلهوب-كيفوركيان، فلسطين

عبير عثمان، فلسطين

تبحث هذه الدراسة في أوجه التنازع التي تنشأ بين السيادة الأصلانية والمنطقين البنيوي والمؤسساتي الحاكمين للأكاديميا الاستعمارية الاستيطانية. وتشير الأدبيات النقدية إلى أن مؤسسات التعليم العالي يمكن أن تنظم الحدود المعرفية، وتضبط الإنتاج المعرفي، وتشكل ذوات الطلبة المستعمَرين.[1] وفي هذا السياق، تستكشف الدراسة كيف يمارس الطلبة المستعمَرون أشكالاً فردية وجماعية من السيادة. واستناداً إلى تأملات فرانز فانون في الأبعاد الوجودية للهيمنة الاستعمارية،[2] وإسهامات ستيف بيكو في فكر الوعي الأسود،[3] تحلل الدراسة تشكُّل الذوات النفسية-السياسية والأخلاقية والوجودية لدى الطلبة الفلسطينيين المقدسيين الذين يدرسون في الأكاديميا "الإسرائيلية"، في ظل حالة من العنف السياسي المتصاعد. وتقترح أن الطلبة يصوغون أشكالاً من الوعي والمخيال المستقبلي والانتماء الوجداني، يمكن فهمها بوصفها مقومات للمقاومة.[4] وبدلاً من التعامل مع السيادة بوصفها حالة قانونية أو سياسية فحسب، تقاربها الدراسة مفهومياً بوصفها توجهاً وجودياً مترسخاً في الوعي والوجود العلائقي والتجربة المعيشة والذاكرة الجمعية. ويُسهم هذا التحليل في النقاشات المتواصلة في دراسات التحرر من الاستعمار والدراسات الأصلانية، إذ يقترح أن السيادة لا تُفهم بوصفها سعياً إلى نيل الاعتراف فحسب، بل بوصفها ممارسة موقعية وعلائقية ومعيشة تعطل الأُطر المؤسساتية والدولاتية.

* خصَّت المؤلفتان **الجنوب: المجلة الفلسطينية للدراسات التحررية** بهذه المقالة التي نشرت النسخة الأولى منها في مجلة **المنتدى الاجتماعي** في 8 نيسان/ أبريل 2026. ويأذن من المؤلفتين ترجم النص عن الإنجليزية.

Nadera Shalhoub-Kevorkian and Abeer Otman's forthcoming article, "Enacting Lived Sovereignty Amid Epistemic and Ontological Violence in the Settler-Colonial Academy," *Sociological Forum,* (2026): 1- 11.

https://doi.org/10.1111/socf.70069.

** **نادرة شلهوب-كيفوركيان:** أستاذة منتسبة، جامعة جنوب أفريقيا في بريتوريا، جنوب أفريقيا. وأستاذة كرسي القانون العالمي، جامعة كوين ماري في لندن في المملكة المتحدة، وأستاذة فخرية في "الجامعة العبرية" في القدس. **عبير عثمان**، زميلة ما بعد الدكتوراه في كلية الحقوق في "الجامعة العبرية" في القدس. **أنس إبراهيم:** مترجم وكاتب وباحث فلسطيني، حاصل على الماجستير في الدراسات "الإسرائيلية" من جامعة بيرزيت.

مقدمة

"حصلتُ على درجة البكالوريوس من جامعة فلسطينية، ثم تابعتُ دراسة الماجستير في 'الجامعة العبرية'، لأنني أنوي أساساً العمل في القدس، وهو ما يتطلب معرفة مباشرة بالقانون 'الإسرائيلي' والبُنى الإدارية ذات الصلة بمجال عملي. وبعد دراستي وممارستي المهنية في القدس، أسستُ مساقاً تدريبياً حول القانون والإدارة 'الإسرائيليين' في جامعة فلسطينية، صُمم خصيصاً للطلبة المقدسيين الذين يسعون إلى العمل في القدس. ويهدف المساق إلى تزويدهم بالمعرفة والقدرة اللازمتين للتعامل مع النظام القانوني والبيروقراطي 'الإسرائيلي'، مع صون الحضور والحيز الفلسطينيين، وإدامة الحياة اليومية الفلسطينية في المدينة. وفي هذه العملية، بدأت أرى نفسي ندّاً".

يمكن قراءة هذا الاقتباس من هالة، وهي طالبة فلسطينية مقدسية ملتحقة بـ"الجامعة العبرية" في القدس، بوصفه سردية رفض استراتيجي. فهو يعكس كيف يمكن للطلبة المستعمَرين الاشتباك مع المؤسسات الأكاديمية الاستعمارية الاستيطانية من موقع يشكله قرارهم المحسوب بتحييد مفاعيل السلطة، مع تعريف كل منهم نفسه، في الوقت ذاته، بوصفه ندّاً.[5] وتوضح رواية هالة أن عودتها إلى جماعتها الفلسطينية، عبر إنشاء مساق تدريبي صُمم خصيصاً للطلبة الفلسطينيين المقدسيين، تمثل موقفاً أخلاقياً وسياسياً. فهي تضع في المركز أولئك الذين يكون حضورهم أشد هشاشة واستهدافاً، وتسعى إلى "التعامل مع النظام القانوني والبيروقراطي 'الإسرائيلي'، مع صون الحضور والحيز الفلسطينيين، وإدامة الحياة اليومية الفلسطينية" عبر إعادة تأطير تعاملها مع هذا النظام بوصفه فعل مقاومة يؤكد فاعليتها، ويتحدى البُنى المؤسساتية، ويعمل على إدامة السيادة على الحيز والوجود والمستقبل.

كما تثير ممارستها المتعمدة للسلطة المضادة (Counter-power) أسئلة نقدية أوسع حول الممارسات الوجودية الأصلانية لاستعادة السيادة في بيئات أكاديمية بُنيت على المحو المعرفي واستعمارية إنتاج المعرفة. وتشير هالة، على وجه التحديد، إلى التنازع الذي ينشأ نتيجة محاولة الأُطر المؤسساتية استيعاب الذوات المستعمَرة أو إعادة تعريفها، وممارسات الطلبة التي تقاوم هذه العملية، فيما يعيد الطلبة تأكيد توجهاتهم السياسية والمعرفية التي يحددونها بأنفسهم. ويبلور تعريف الذات بوصفها ندّاً هذا الموقع، لا بوصفه فعل امتثال أو تطبيع، بل تأكيداً للحق في السيادة الوجودية والمعرفية، إذ يؤكد الندِّية من خلال المعرفة والقدرة على مواجهة السلطة عبر تعطيل بُناها ذاتها من الداخل. وتثير هذه التأملات أسئلة أوسع حول الكيفية التي ينازع بها الطلبة المستعمَرون سلطة المؤسسة الاستعمارية على عقولهم ووعيهم ومستقبلهم، ويستعيدون سيادتهم عليها من داخل نظام التعليم العالي الاستعماري الاستيطاني.

وهالة واحدة من آلاف الطلبة الفلسطينيين المقدسيين الذين التحقوا حديثاً بـ"الجامعة العبرية"، فبين العامين 2018 و2023، ارتفع عدد الطلبة الفلسطينيين من القدس المحتلة الملتحقين بمؤسسات التعليم العالي "الإسرائيلية" بنسبة 85 %، ليصل عددهم إلى 1,218 طالباً وطالبة.[6] وتعود هذه الزيادة إلى عدة عوامل اقتصادية وسياسية، لا سيما "خطة حومش" الحكومية "الإسرائيلية"، التي تهدف إلى زيادة أعداد الطلبة الفلسطينيين

المقدسيين الذين يدرسون في مؤسسات التعليم العالي "الإسرائيلية" الناطقة بالعبرية، بما فيها "الجامعة العبرية"، سعياً إلى دمج الشباب الفلسطينيين من القدس الشرقية في سوق العمل والمجتمع "الإسرائيليين."[7] غير أن لاڤي وحداد وإلران[8] وقدح[9] يجادلون بأن "خطة حومش" تهدف إلى إحكام سيادة "إسرائيل" على القدس المحتلة، ومن ثم على العدد المتزايد من الطلبة الفلسطينيين المقدسيين الذين يدرسون في الأكاديميا "الإسرائيلية"، وإلى تعميق "أسرلة" المدينة من خلال تشكيل وعي الأجيال الفلسطينية الشابة في القدس.

وقد حظي تزايد أعداد الطلبة الفلسطينيين المقدسيين الدارسين في الأكاديميا "الإسرائيلية"، على الرغم من حدة السياق الاجتماعي-السياسي المحيط، ولا سيما في ظل الإبادة الجماعية المتواصلة في غزة منذ 7 أكتوبر 2023، باهتمام أكاديمي متزايد.[10] وعلى الرغم من توسع البحث في تجارب الطلبة الفلسطينيين المقدسيين في مؤسسات التعليم العالي "الإسرائيلية"، ما يزال فهم قدراتهم النفسية-الاجتماعية، وأنماط مواجهتهم للبُنى الأكاديمية الاستعمارية الاستيطانية والتعامل معها محدوداً.

تُمَوضعُ هذه الدراسة سرديات الطلبة الفلسطينيين ضمن عمليات التصنيف والإنتاج العنصري المتواصلة في الأكاديميا "الإسرائيلية،"[11] وتؤطِّر هذه السرديات ضمن منطقين سياسيين أوسع نطاقاً، هما: الرفض والانتفاض. وتسعى الدراسة إلى فهم كيف يعطل الطلبة الفلسطينيون المقدسيون الأصلانيون ادعاءات الأكاديميا "الإسرائيلية" بالسلطة على الأرض والمعرفة والحيز والمشروعية. ولمعالجة هذه الفجوة، تجادل الدراسة بأن السيادة داخل الأكاديميا ليست مسألة تمثيل بقدر ما هي ممارسة تتمثل في الوجود داخل المؤسسات الاستعمارية وإعادة رسم خرائطها، وفي خلق فضاءات فكرية، كما توضح هالة، تتواجد في آنٍ معاً داخل إطار الجامعة الاستعمارية الاستيطانية وخارجه. وانطلاقاً من رواية هالة وروايات كثير من الطلبة الفلسطينيين المقدسيين الآخرين الذين يتعاملون مع نظام التعليم العالي "الإسرائيلي" الاستعماري الاستيطاني، تطرح الدراسة سؤالين مركزيين: كيف يواجه الطلبة الفلسطينيون البُنى الاستعمارية الاستيطانية التي تسعى إلى أَسْرَلَتِهِم، والسيطرة عليهم وفرض السيادة على عقولهم ووعيهم ومستقبلهم، ويتحدونها؟ وما الأشكال التي تتخذها السيادة الفلسطينية الأصلانية داخل الفضاءات الأكاديمية المُعَسكَرة؟

نطرح هذه الأسئلة لأن بعض الباحثين يبيِّنون، في سياقات يشكلها الاضطهاد الإبادي والعنصرية والاستعمار،[12] كيف يشكل كل من منطق الحبس المعرفي[13] و"العنف المعرفي،"[14] ركيزة للتخصصات الأكاديمية المهيمنة عبر مساهمتها في إدامة مواريث الاستعمار الاستيطاني والبُنى الهرمية العنصرية. فهذه المنظومات المعرفية تعمل على تهميش النُّظُم المعرفية الأصلانية وقمع أصوات التابعين.[15] كما أوضح باحثون كيف عَمِلَت الجامعات "الإسرائيلية" على قمع السرديات الفلسطينية وإدامة الهيمنة الاستعمارية الاستيطانية، فخلقت بيئات معادية وإقصائية للطلبة الفلسطينيين.[16] وتصف سعدي-إبراهيم وفوراني الطلبة والأكاديميين الفلسطينيين بأنهم "مبتلَعون في جوف الحوت،"[17] وهو وصف يكشف مدى تجذُّر العنف المعرفي في الأكاديميا "الإسرائيلية". وعلاوة

على ذلك، تمثل الإبادة الجماعية المستمرة في غزة ذروة المحو المعرفي، الذي يتجسد فيما تسميه كرمة النابلسي ممارسات "الإبادة التعليمية" (Scholasticide) و"الإبادة المعرفية،"[18] وهي ممارسات تُسخر لتدمير النُّظُم المعرفية والسرديات والإنتاج الأكاديمي الفلسطيني.[19]

في المقابل، تشدد الباحثة الفلسطينية رنا بركات[20] على أهمية دعوة روبرت وريور إلى "السيادة الفكرية،"[21] أي تطوير أطر تمكن الأصوات الفلسطينية، وتعزز حضور الإنتاج المعرفي الأصلاني، وتقاوم الهيمنة الصهيونية الاستعمارية الاستيطانية. ويجادل تاك ويانغ،[22] بأن تعطيل بُنى الهيمنة الاستعمارية يقتضي مقاربة تفكيك الاستعمار بوصفه ضرورة أخلاقية وسياسية متجذرة في السيادة الأصلانية ومخيالها المستقبلي.[23] وتستلزم هذه المقاربة الاشتباك مع النُّظُم المعرفية والمنهجيات الأصلانية.[24] وانطلاقاً من موقعنا داخل التوترات الكامنة في العلاقات الأصلانية–الاستيطانية في التعليم العالي، وما تفرضه هذه العلاقات من مسؤوليات، نطرح السؤال الآتي: كيف يمكن النهوض بالسيادة الفكرية الأصلانية على نحوٍ فعلي؟

واسترشاداً بهذا الإطار النظري، نسعى إلى إعمال السيادة المعرفية عبر منهجيات نسوية وأصلانية ومناهضة للاستعمار، تنطلق من السياق ولا تنفصل عنه،[25] لدراسة التجارب النفسية-الاجتماعية والسياسية والتعليمية اليومية للطلبة الفلسطينيين المقدسيين في "الجامعة العبرية". وعوضاً عن الاكتفاء باستخراج البيانات، ترتكز مقاربة هذه الدراسة على المعرفة المتشكلة عبر الاشتباك—أي الوجود مع التجمعات الطلابية الفلسطينية في الجامعة، والإصغاء إليهم، والمشاركة في لقاءاتهم وممارساتهم الجمعية اليومية وهم يتحدثون عن ممارسة السيادة.

المنهجية

انطلاقاً من أصوات الطلبة الفلسطينيين المقدسيين وتجاربهم النفسية-الاجتماعية وتفاصيل حياتهم اليومية خلال دراستهم في "الجامعة العبرية"، تضع هذه الدراسة سرديات الطلبة في مركز التحليل في إطار مجموعة من الأسئلة المرتبطة بانشغال أوسع بالعلاقة بين فضاءات التعليم العالي وإمكان العيش وأخلاقيات الحياة في ظل شروط العنف البنيوي. ومن هذه الأسئلة: كيف يواجه الطلبة محاولات الاستعمار الاستيطاني الرامية إلى "أسرلتهم" و"إحكام سيادته" على عقولهم ومستقبلهم والفضاءات المحيطة بهم، وكيف يتعاملون معها؟ وكيف يتعاملون مع احتكاكاتهم اليومية بمن يقمعهم في خضمّ الإبادة الجماعية المستمرة التي يتعرض لها شعبهم؟ وإلى أي مدى يخلق الطلبة فضاءات نفسية وفكرية وسياسية وثقافية في إطار الجامعة الاستعمارية، وكيف يخلقونها وأين؟ وكيف يشقُّون طريقهم في بيئتهم الأكاديمية في ظل الإبادة الجماعية المستمرة؟

للإجابة عن هذه الأسئلة، يوظف البحث منهجيات نسوية ومناهضة للاستعمار،[26] تضع في الواجهة مقاربات معرفية تنقل التحليل من الهوامش إلى المركز، لأن الهوامش ليست مجرد مواقع للقمع فحسب، بل هي أيضاً مواقع للمعرفة والمقاومة والبصيرة النقدية.[27] وتتطلب هذه المنهجيات تأملاً علائقياً متبادلاً في السلطة والمقاومة، إضافة إلى الاشتباك مع عمليات صيرورة ناشئة متحركة وغير خطية.[28]

وانطلاقاً من هذه الالتزامات المنهجية، يستند إطارنا المفاهيمي كذلك إلى أعمال سابيلو ج. ندلوفو-غاتشيني حول النُّظُم المعرفية للجنوب العالمي،[29] بما يضع الدراسة في سياق النقاشات المستمرة حول السيادة المعرفية والصراعات الدائرة حول تراتبيات المعرفة. كما تتحاور الدراسة مع تنظير سيلفيا وينتر لاستعمارية الوجود والسلطة والحقيقة والحرية في إطار فكر تفكيك الاستعمار، لا سيما إسهاماتها في فهم القطيعة المعرفية وممارسات العصيان التي تزعزع نُظُم الوجود والمعرفة المهيمنة.[30]

تشكل هذه الدراسة جزءاً من مشروع بحثي أوسع أُجري على امتداد الأعوام الثلاثة الماضية، منذ تشرين الأول/أكتوبر 2022. وضمن الدراسة الأوسع، دمجنا أساليب نوعية متعددة لتوثيق تنوع تجارب الطلبة الفلسطينيين المقدسيين، بما في ذلك أكثر من 200 مقابلة شبه مُهيكلة، و18 نقاشاً ضمن مجموعات مركزة، و40 ملاحظة إثنوغرافية. كما تضمنت الدراسة تحليلاً نصياً شمل جمع وفحص أكثر من 250 مادة أنتجها الطلبة، منها منشورات على وسائل التواصل الاجتماعي، ورسائل شخصية، ومذكرات يومية، فضلاً عن تحليل خطابي لستة عشر تراسلاً رسمياً عبر البريد الإلكتروني بين "الجامعة العبرية" ومجتمعها الأوسع. وبعد الحصول على موافقة لجنة المراجعة المؤسسية (IRB) من لجنة الأخلاقيات في معهد علم الجريمة في كلية الحقوق في "الجامعة العبرية"، زودنا جميع المشاركين، قبل المقابلات ونقاشات المجموعات المركزة، بنموذج موافقة مبني على معرفة يوضح معلومات المشاركة، ويضمن إخفاء الهوية، ويوضح حق الانسحاب من البحث في أيِّ مرحلة دون أيِّ تبعات.

أما ميدانياً، فتسترشد هذه الدراسة بالنتائج العامة للدراسة الأوسع، غير أن الباحثتَين أجريَتا جمعاً موجهاً للبيانات بغية التعمق في فحص الأسئلة التي تتناولها الورقة في سياق الإبادة "الإسرائيلية" المستمرة بحق الفلسطينيين في قطاع غزة، ولا سيما خلال عام 2025، كما انعكست في تجارب الطلبة. وشملت هذه المرحلة 25 مقابلة شبه مهيكلة، وأربع ملاحظات بالمشاركة، وتفاعلات تشاركية في حرم "الجامعة العبرية" والفضاءات المحيطة بها، وجلستَي نقاش ضمن مجموعتين مركزتين مع طلبة منخرطين في مبادرات جماعية، مثل الحركات الطلابية والتظاهرات والفعاليات الثقافية. وقد استُخدمت هذه الأدوات لرصد تأملات الطلبة الدقيقة وتأويلاتهم للوقائع المعيشة، انطلاقاً من مواقعهم وسياقاتهم، في صلتها بالأسئلة التي تطرحها هذه الورقة.

وتولي الدراسة اهتماماً للكيفية التي قد يقاوم بها البحث نفسه منطق التملُّك الذي يحكم الجامعة الاستعمارية الاستيطانية في ظل إبادة جماعية مستمرة. ومن خلال فحص التجارب الوجدانية والمعيشة على حد سواء، تستكشف الدراسة كيف ينخرط الطلبة الفلسطينيون في ممارسات تتحدى السيطرة الاستعمارية الاستيطانية وتقاومها، بما يعزز أشكالاً فكرية وسياسية وثقافية من السيادة ضمن القيود المؤسساتية وخارجها.

في هذه الدراسة، نتموضع داخل البحث بوصفنا باحثتَين فلسطينيتين أصلانيتين ونسويتين ومناهضتَين للاستعمار، ونتعامل مع الموقعية بوصفها التزاماً منهجياً. وتتشكَّل مقاربتنا التحليلية بفعل تواريخنا وشروط عيشنا الراهنة. وفي سياق الإبادة الجماعية المستمرة، تغدو ذواتنا والتزاماتنا الأخلاقية موارد منهجية تُسهِمُ في

توجيه التأويل، ما يحول الموقعيات المهمَّشة والمشكَّلة عبر التصنيف والإخضاع العنصري مقروءةً، بما يتيح اشتباكاً مسؤولاً ومناهضاً للاستعمار مع سرديات الطلبة المقدسيين.[31] كما تُسهِم هذه المقاربة في بلورة تصورات جديدة للمقاومة والمعرفة الأصلانيتين، وفي ترسيخ الأحقية في السيادة الفكرية الفلسطينية الأصلانية.[32]

ترسيم السيادات في مواجهة الأكاديميا الاستعمارية الاستيطانية

يستكشف هذا القسم كيف يتعامل الطلبة الفلسطينيون مع السيادة ويمارسونها داخل قيود الجامعة "الإسرائيلية" الاستعمارية الاستيطانية. وبناءً على تجاربهم وممارساتهم وتأملاتهم، يُظهر التحليل كيف يخلق الطلبة فضاءات فكرية وسياسية وثقافية ونفسية للاستقلالية والمقاومة، وكيف يعملون على إدامتها والدفاع عنها. ومن خلال الاهتمام بالأبعاد المادية والوجدانية لاشتباكهم، تسعى الدراسة إلى ترسيم ملامح السيادة الفردية والجماعية، مع التشديد على طابعها العلائقي، وعلى كونها سيادة معيشة ومتجسدة في الحضور والممارسة، وغير منفصلة عن شروط تشكُّلها السياسية والاجتماعية والمعيشية. وتُظهر النتائج أن الطلبة الفلسطينيين يمارسون السيادة عبر مجالات متعددة ومتقاطعة، يمكن فهمها بوصفها سبعة تمظهرات مترابطة للسيادة:

- السيادة على الوعي: الأكاديميا الاستعمارية بوصفها موقعاً للحرب.
- "الانفصام" النفسي بوصفه تمظهراً للسيادة.
- السيادة عبر "الوجود" بوصفه حضوراً راسخاً.
- السيادة المعرفية وتفكيك استعمار العقل: استعادة السردية.
- الضرورة الاقتصادية والنضال المستمر من أجل السيادة.
- السيادة على المستقبل: نحو العودة الجماعية.
- السيادة الجماعية والثقافية: بناء شبكات الرعاية والتضامن.

السيادة على الوعي: الأكاديميا الاستعمارية بوصفها موقعاً للحرب

احتلَّت مسألة السيادة على العقل موقعاً مركزياً في نقاشات الطلبة وإجاباتهم، وفي إدراكهم أن المؤسسة التعليمية ليست فضاءً محايداً للتعلم، بل جبهة رئيسية يُعاد عبرها ترسيخ الاحتلال العسكري. كما أظهر الطلبة وعياً واضحاً بما اعتبروه "سلاح المستعمِر"، وقد تجلّى لهم هذا السلاح في فتح الأكاديميا "الإسرائيلية" أبوابها أمام الطلبة الفلسطينيين المتفوقين أكاديمياً. وكان الهدف المعلن من ذلك، كما فهمه المشاركون، السيطرة على عقولهم، واحتوائهم داخل نظام يمحو هويتهم وتاريخهم واستقلاليتهم، ويشوِّه، في نهاية المطاف، كينونتهم الجمعية وعلائقيَّتهم وهويتهم. وهكذا، رأى الطلبة في وجودهم داخل الأكاديميا الاستعمارية سلاحاً موجهاً ضد الفلسطينيين، وعبروا عن شعورهم كما لو أن التعليم ذاته قد غدا بندقية مصوَّبة إلى أجسادهم وعقولهم.[33] وفي

المقابل، أوضحوا أن اشتباكهم مع المبادرات والمؤسسات الفلسطينية المحلية، حتى محدودة الموارد منها، عزز لديهم إحساساً مغايراً بالحرية والانتماء والإبداع.

وتقدم شهادة جود تصويراً حياً لهذه المقاومة الواعية لمحاولات الاحتواء الأيديولوجي: "أنهيت درجة البكالوريوس، وقُبلتُ الآن في برنامج الماجستير... بمنحة تغطي الرسوم كاملة، وتشمل الرحلات والجولات... يظنون أنهم بذلك سيضعوننا تحت سيطرتهم... حين استقطبوا الطلبة العرب إلى 'الجامعة العبرية'، ظنوا أنهم سيتمكنون من غسل أدمغتنا، وأننا سنتخلى عن وطنيتنا ونبتعد عن جذورنا، لكن العكس تماماً هو ما حدث. وقفنا معاً، وظهرت الحركات الطلابية الفلسطينية، وهكذا، نعم، دخلنا عالم [الجامعة/ التعليم]، لكننا لم نتخلَ عن هويتنا. بل أشعر، في الواقع، أنني تمسكتُ بها أكثر حين دخلتُ 'الجامعة العبرية'... لقد دخلتُ هذا الحقل لهدفٍ واحد: أن أحصِّن ولو شارعاً واحداً أو زاوية واحدة في القدس، وهذا ما أفكر فيه دائماً، وسيظل كذلك... هم يريدون هدم أشياء كثيرة، ثمة نظام أبارتهايد في القدس، وهم لا يريدوننا فيها... لكنني أعرف، وأنا واثق، أنني سأدخل برنامج المنحة وأخرج منه بالأفكار نفسها. لن أسمح لهم بذلك، ولن أشاركهم في أيِّ شيء يضرُّ بالقدس وأهلها، بل سأعمل على مشاريع تصب في مصلحتنا. بعض الطلبة الفلسطينيين يتخلون عما تربوا عليه... ويضلون الطريق ويصبحون غرباء."

تكشف رواية جود، بوضوح، عن استراتيجية مضادة واعية لما يراه محاولة لـ "غسل الدماغ" و"الاحتواء". فهو يرى في المنحة، المقدمة بوصفها فرصة، أداة للسيطرة، كما يظهر في قوله: "سيضعوننا تحت سيطرتهم"، ويرد عليها لا بالاندماج، بل بالتزام أشد بالهوية الفلسطينية وبالمشروع السياسي الفلسطيني. ويصف ظهور الحركات الطلابية الفلسطينية بوصفه نتيجة مباشرة لهذا الوعي، بما يحول فضاءً كان مرشحاً ليكون موقعاً للمحو الثقافي إلى فضاء للتنظيم السياسي وتعزيز الانتماء الوطني.

ينسجم هذا الوعي وهذه المقاومة مع تصور نظرية تفكيك الاستعمار للذات المستعمَرة بوصفها فاعلاً نشطاً، لا ضحية سلبية.[34] ويجادل سوفلا وسيدات أن تفكيك استعمار العقل والوعي والهوية ذو أهمية أساسية في تكوين ذاتية فاعلية، بدلاً من التنكُّر للذات.[35] وتشكِّل قدرة الطلبة على إدراك الوظيفة الأيديولوجية للجامعة والحفاظ على توجههم السياسي، كما في قول جود: "سأخرج بالأفكار نفسها"، تمظهراً بارزاً للسيادة على الوعي—أي رفضاً للسماح لمؤسسة المستعمِر بأن تحدد هويتهم أو أهدافهم المستقبلية، التي تظل منصبَّة على تحسين واقع القدس خدمةً لأهلها.

"الانفصام" النفسي بوصفه تمظهراً للسيادة

كان على الطلبة الفلسطينيين المشاركين في هذه الدراسة أن يتعاملوا مع انفصام نفسي عميق داخل بيئة مؤسساتية استعمارية، وهم يدرسون في جامعة "إسرائيلية" في ظل الإبادة الجماعية المستمرة في قطاع غزة. وقد عبروا عن صراعات داخلية هائلة، وعن انفصام نفسي يفرض عليهم مواصلة أدائهم الدراسي داخل بيئة تضم

زملاءهم "الإسرائيليين" الذين كان جزء كبير منهم جنوداً، يجلس بعضهم مسلَّحاً في قاعة الدراسة، ثم يشارك هؤلاء لاحقاً، هم أو بعض أفراد عائلاتهم، في العنف الإبادي المستمر. وكان وصف الطلبة جرحهم وألمهم الداخليين أبعد من مجرد عرض من أعراض الصدمة، بل تأكيداً لهويتهم واستقلاليتهم النفسية في مواجهة نزع الإنسانية الممنهج. وقد وصف أمير هذه الظاهرة وكأنها هجرة داخلية للنفس، قائلاً: "كان جسدي هناك بالفعل [في قاعة الدراسة] لأن الحضور كان إلزامياً، لكن عقلي لم يكن هناك أبداً، كان ثمة انفصام". وروى أمير تجربة صعبة على وجه الخصوص، حين جلس في غرفة صغيرة مغلقة مع طلبة "إسرائيليين" مسلَّحين يتحدَّثون عن تجاربهم في غزة وشمال "إسرائيل" [فلسطين المحتلة]، مباشرة بعد مشاهدته مقاطع فيديو تصور قصف أبناء شعبه وقتلهم في غزة. ويصف أمير شعوره بـ "الانفصام" بأن جسده كان حاضراً في الغرفة، لكن عقله وأحشاءه كانت في مكان آخر.

وعن هذا التنافر النفسي، تحدَّث طلبة مثل أمير فيما بينهم وتبادلوا قصصاً عن عجزهم عن الكلام في قاعة الدراسة بسبب البيئة المحيطة وتناقضهم العميق معها، وغالباً ما كانوا ينكفئون في إحدى الزوايا مع أفكارهم. وشرح طالب آخر "الانفصام" والانفصال بوصفهما شكلاً من أشكال حماية الذات والهروب من الخطر المباشر، ومن واقع وجود مستعمِر يجلس إلى جانبه وسلاحه مصوب نحو هويته الفلسطينية.

وشعر طلبة آخرون بأنهم لا يستطيعون التظاهر بأن كل شيء طبيعي دون أن يقعوا في النفاق، وأنهم لا يستعيدون شعورهم بالاكتمال والطاقة إلا حين يكونون في فضاءات فلسطينية، حيث يستطيعون التحدث بلغتهم، وخدمة شعبهم، والوجود داخل جماعة مستقلة. ويشتبك هذا "الانفصام" مباشرة مع نظرية فرانز فانون حول التكوُّن الاجتماعي للذات و"منطقة اللاوجود."[36] فقاعة الدراسة ليست فضاءً تعليمياً محايداً أبداً، بل موقع مكثَّف للسلطة الاستعمارية، حيث يفرض الحضور الجسدي للجنود "الإسرائيليين" المسلَّحين، وهم يتحدثون عن تجاربهم الحربية، شمولية المشروع الاستعماري الاستيطاني، فيما يبقى المستعمَرون بلا اعتراف، أو يُحرمون من الاعتراف الوجودي.[37] وهكذا، يعمل انسحاب أمير الذهني بوصفه رفضاً فاعلاً للانخراط الكامل في وجود يُختزل فيه الفلسطيني إلى شيء مجرد، وتُسلب منه القيمة والاعتراف والكرامة. ويغدو "الانفصام" مناورة واعية من أجل "حماية الذات من الخطر المحيط بنا، من المستعمِر والشخص المسلح الذي يجلس إلى جانبك وسلاحه موجه إليك وإلى أبناء شعبك"، بما يخلق ملاذاً داخلياً لا يمكن انتهاكه، حين يغدو عالم الجامعة من حولهم عالماً إبادياً.

وتوسعت سلوى، وهي طالبة أخرى، في شرح هذا الانفصال الوجداني الضروري، فقالت: "كنت أعيش انفصاماً عن مشاعري بسبب رفضي للبيئة التي كنتُ فيها". وكانت تلك البيئة تضمُّ مشرفة تذكر عرَضاً أن ابنها يخدم في الجيش ويقاتل في غزة، في حين كانت سلوى بالكاد تحتمل شعورها بالرعب وقلقها على أقاربها هناك، وخوفها من أن تنكل بهم آلة الإبادة، أو تعذبهم، أو تسجنهم، أو تقتلهم. إن الرعب الذي تستشعره في مواجهة مشرفتها، وانهيارها النفسي الساحق، يفرضان عليها مفارقة وجدانية لا تُطاق. ومع ذلك، تصر على أن "انفصامها" كان يتيح لها النجاة من "المواجهات الوحشية داخل الأكاديميا الاستعمارية"، دون الاستسلام لـ"نفاق الحياة الطبيعية". ومن خلال رفضها الاندماج القسري في واقع أكاديمي معقَّم، مارست الطالبة شكلاً من أشكال الصمود، موظِّفة

الانفصام بوصفه وقفة تكتيكية ووسيلة لإبقاء الذات متماسكة إلى أن تتمكن من الوصول إلى فضاء سيادي حقيقي. وقد أشارت سلوى إلى ذلك بقولها: "فقط عندما تكون في مكان تُقبل فيه، وبعيداً عن هذا الصراع... [يمكنك] أن تشعر بالراحة، وبأنك ممتلئ بالطاقة والحب"، مؤكدة أن استعادة الذات تكاملها لا تكون ممكنة إلا في فضاءات فلسطينية سيادية ومتحررة من الاستعمار.

في النهاية، تشير هذه السرديات إلى دعوة سيلفيا وينتر إلى إعادة صوغ النزعة الإنسانية خارج قيود المركزية الأوروبية.[38] فقد أوضح الطلبة أن "قوتهم الحقيقية" لا تكمن في النجاح الأكاديمي، بل في "النضج النفسي" الذي تبلور من خلال تحملهم هذه التجارب. وهو نضج يمكن أن يقودهم إلى نجاح قائم على أساس أخلاقي—أي "نجاح صادق" ينبثق من المواجهة المباشرة مع المستوطن. يشكِّل هذا النضج أساساً للذات المتحررة من الاستعمار، والتي تسائل بلغة فانونية، الواقع المُعطى بفاعلية، وتبني أساساً جديداً لمعنى أن تكون إنساناً. وهكذا، وعلى الرغم من إقرار الطلبة بالأثر السلبي لهذه التجارب على صحتهم النفسية، فقد اعتبروا أنها أفضت إلى نمو ونضج شخصيين متجذرين نفسياً وأخلاقياً.

السيادة عبر "الوجود" بوصفه حضوراً راسخاً

عوضاً عن فهم السيادة أساساً بوصفها سلطة على الإقليم أو سلطة قانونية، يعيد الطلبة تصورها بوصفها ممارسة وجودية—أي القدرة على البقاء والوجود وإقامة الروابط داخل فضاءات بُنيت أصلاً على نفي الحياة الأصلانية المشكَّلة عبر التصنيف والإخضاع العنصري. وتُظهر النتائج أن الطلبة الفلسطينيين يمارسون السيادة داخل الجامعة الاستعمارية من خلال ممارسات "الوجود"، أي الوجود الراسخ، و"التواجد"، أي الحضور الفاعل، بما يحول الكينونة والظهور إلى فعلين سياسيين وأخلاقيين. ولا تسعى هذه الممارسات إلى انتزاع اعتراف مؤسساتي، بل تجعل من الحضور شكلاً من أشكال الرفض في مواجهة بُنى صُممت لإنتاج الاغتراب والمحو وانعدام الأمان الوجودي.

تصف إسراء "الوجود" بوصفه تجذراً علائقياً مع الأرض، مؤكِّدة أن الجامعة في الأصل قائمة على أرض فلسطينية، ولذلك لا ينبغي للطلبة الفلسطينيين أن يشعروا بأنهم غرباء داخلها. ويعيد هذا التأطير وضع الجامعة الاستعمارية ضمن بنية عنف الدولة الاستعمارية الاستيطانية المتجذرة فيها أصلاً. وهكذا، يعطل إصرار إسراء عبر شعورها بالانتماء السيطرة الاستعمارية ويشككُ في قدرتها ويزعزعها، إلى أن يُحيلها إلى حالة من اللا-سيادة، مؤكداً الوجود الأصلاني بوصفه سيداً وليس وجوداً طارئاً أو عَرَضياً.

ويعمق محمد هذا التحليل عبر مفهوم "التواجد"، أي الحضور الفاعل، بوصفه إصراراً على الحياة يُعاش عبر الجسد والحضور. فقد وصف دراسته باعتبارها شكلاً من أشكال الصمود،[39] مشدداً على أن الحضور ينبغي أن يُمارَس عبر الحركة والصوت والتسمية والظهور: "اسمي محمد... لكنني هنا". وكما تجادل تمارا طاهر،[40] يعمل "الوجود" الفلسطيني عبر الصمود. فبحسب دراستها، يقاوم "الوجود" الإبادة الاستعمارية من خلال إعادة إدماج

الحضور الفلسطيني المادي والثقافي، ويجسد تعدد أنماط الكينونة الفلسطينية، ويستعيد العلاقة بالأرض داخل واقع ممزق. ويمكن قراءة إصرار محمد على أن يُرى وأن يُسمَّى إلى جانب صياغة بيكو للوعي الأسود، حيث تغدو استعادة الحضور وتعريف الذات فعلاً سياسياً تأسيسياً.[41] وبهذا المعنى، لا تشير دراسة محمد، وإعلانه اسمه، وحضوره إلى مجرد المشاركة في الأكاديميا، بل تشكِّل رفضاً لما وصفه فانون بالإنتاج الاستعماري للموت داخل الحياة، وممارسةً للسيادة على وجوده.[42]

وتكشف رواية وليد، وهو طالب آخر، أن هذه الممارسات ليست فردية فحسب، بل مكانية وجماعية أيضاً. فعلى الرغم من وصفه الجامعة بما يشبه القاعدة العسكرية، شدَّد على الإنشاء الفاعل لفضاءات مضادة من خلال ممارساتٍ جماعية، مثل حجز غرف للتحدث بالعربية، والوجود معاً لمشاركة الشعور بالحزن، وتنظيم حلقات حوارية، واللقاء في حدائق الحرم الجامعي، وتنسيق فعاليات عامة ومظاهرات. ومن خلال هذه الممارسات، لم يكتفِ الطلبة بالنجاة داخل الحيز الاستعماري، بل عملوا على محاولة إعادة تشكيله. وتعكس الفضاءات التي أنشأها الطلبة ما نظَّرت له رنا بركات بوصفه السيادة الفكرية والسيادة الأصلانية[43]—أي أن التحرر لا يُمنح من المؤسسات، بل يُعاش عبر ممارسات جماعية مترسخة ترفض ادعاءات الاستعمار بالسيطرة على المعرفة والحيز والمشروعية.

تُظهر هذه الشهادات مجتمعة أن "الوجود" و"التواجد" يعملان بوصفهما شكلين مترابطين من أشكال السيادة: فال"الوجود" ليس تحمُّلاً سلبياً، بل موقف سيادي مترسخ في الأرض والذاكرة والحضور الجمعي. أما "التواجد"، فليس مجرد ظهور جسدي، بل إصرار على الحياة والصوت واللغة والعلائقية داخل سياق مبني على منطق المحو. وداخل الأكاديميا الاستعمارية، تشكِّل هذه الممارسات تمظهراً لحياة سيادية تتجاوز الاحتواء المؤسساتي، وتزعزع ادعاء الجامعة امتلاك السلطة المعرفية والمكانية.

السيادة المعرفية وتفكيك استعمار العقل: استعادة السردية

لا يقتصر السعي إلى السيادة على رفض الاندماج، بل ينطوي، في جوهره وبصورة فاعلة، على استعادة الحيز المعرفي وتثبيت مشروعية سردية أصلانية متحررة من الاستعمار. وتكشف شهادات الطلبة وعياً نقدياً بديناميكيات عمل القوة الكامنة في اللغة وإنتاج المعرفة، وتتقاطع تجاربهم، في ذلك، مع نظريات ما بعد الاستعمار لدى نغوغي وا ثيونغو،[44] وباولو فريري.[45] وكما أكَّد ستيف بيكو: "إن أقوى سلاح في يد القامع هو عقل المقموع."[46] وتكشف أفعال الطلبة وكلماتهم وقصصهم وتأملاتهم جهداً واعياً لتجريد هذا السلاح من فاعليته، من خلال استعادة السيطرة على عوالمهم الإدراكية الخاصة.

تحدث خالد، أحد الطلبة، عن القيود المفروضة على تعبيرهم داخل البيئة الجامعية، قائلاً: "بوصفي طالباً فلسطينياً في هذه الدولة، من الصعب عليّ كتابة ما أريد. نحن الفلسطينيين في هذه الدولة نعرف كيف نراوغ النظام، أو كيف نعبر عن أنفسنا بطريقة أو بأخرى. نحصل على ما نريد بطريقة لا تؤذينا، لأنه لا يوجد هنا

مكان يمكنك أن تكون فيه على سجيَّتك مئة بالمئة... في النهاية، عليك أن تُرضي المُعطي، المانح، لكي يعطيك ويمنحك... أريد أن أكتب رسالة ماجستير... ثم دكتوراه... لكن طموحي هو بناء موسوعة فلسطينية بأيدٍ فلسطينية... تحكي سرديتنا بمصطلحاتنا. لا توجد طريقة أخرى... ليس فقط لكي أعرف هويتي، بل لكي أفتخر بها. أريد فرصة لأكتب عن هويتي، لا من موقع الدفاع، بل بوصفي أنا: 'هذا أنا'... وليس من موقع التباهي، بل لأنني أثق بنفسي وبوضوح رؤيتي".

تمثِّل شهادة خالد إعلاناً قوياً عن السيادة المعرفية. فهو يقاوم القيود الأكاديمية التي تفرض عليه تعبيراً معقّماً ومفرغاً سياسياً، وتطالبه بأن "يُرضي المُعطي، المانح". كما تشكل رغبته في بناء "موسوعة فلسطينية بأيدٍ فلسطينية"، باستخدام "مصطلحاتنا"، تحدِّياً مباشراً للسيطرة الاستعمارية على إنتاج المعرفة وتمثيلها، بل رفضاً حرفياً لعبرية الجامعة واختياراً للعربية بدلاً منها. وهنا يتردد بقوة صدى نقد نغوغي وا ثيونغو للغات الاستعمارية بوصفها "نواقل للهيمنة الذهنية"، فأفعال خالد وطلبة آخرين، حين يكتبون بمصطلحاتهم، وبلغتهم، تشكِّل تأكيداً للحق في السيادة المعرفية والوجودية.

وتتجلَّى السيادة المعرفية والوجودية لدى الطلبة كذلك في رغبتهم في الكتابة عن هويتهم "لا من موقع الدفاع، بل من موقع: هذا أنا"، بما ينقل خطابهم من موقع رد الفعل والدفاع إلى إعلان جازم بالوجود. وهكذا، يجسِّد خطابهم مفهوم باولو فريري[47] عن "الوعي النقدي التحرري (conscientização)"—حيث يتعرَّف الطلبة إلى البُنى التي تشكل وجودهم وتفكيرهم، ويعملون بصورة فاعلة على إعادة إنتاجها بغية مسعى لا أكاديمي فحسب، بل ضرورة أخلاقية لتحقيق الذات وتثبيت الاعتراف بالجماعة.

ويظهر تحقيق الذات عبر العلائقية الجماعية بوضوح في قصة رزان: "ثمة مجموعة من الطلبة، وأنا من بينهم، نريد أن نُحدث فرقاً... وجميعنا متطوعون، وقد اخترنا أن ندعم الشباب من القدس المحتلة وأن نشجعهم على السعي إلى تحصيل تعليمٍ أفضل. إنها فرصة لنا لكي نُحدث فرقاً. كنتُ، في مرحلة ما، واحدة من هؤلاء الشباب الذين احتاجوا إلى التشجيع، وتمكنت من تجاوز العقبات لأن أحداً ساعدني. هناك من استثمر فيَّ ودعم طريقي إلى الجامعة، ولذلك، أريد الآن أن أستثمر في شخصٍ آخر. لا أستطيع أن أقف وحدي، شهادتي الجامعية لا تكفي. الأمر يتطلب عملاً جماعياً. علينا أن نبقى صامدين على أرضنا، وكما ساعدني أحدهم، عليَّ أن أساعد الآخرين على الصمود أيضاً، لا أن يرحلوا أو يهاجروا بكل بساطة".

تُظهر رواية رزان أن النضال من أجل السيادة داخل المؤسسات الأكاديمية الاستعمارية الاستيطانية ليس معرفياً فحسب، بل هو، في جوهره، نضال أخلاقي أيضاً. فتأكيدها المتكرر على الاستثمار في الآخرين يعكس نموذجاً علائقياً للسيادة يتجاوز الإنجاز الفردي، ويؤكد أن استقلالية الذات، بما فيها الذات التي تتعلم وتُنتج المعرفة، تتشكل بصورة مشتركة من خلال المسؤولية الجماعية. وبهذا المعنى، تظهر السيادة الأخلاقية أو القيمية بوصفها مبدأً ناظماً لحضورها الأكاديمي، فهي تؤطر الصمود لا بوصفه حالة شخصية، بل بوصفه التزاماً جماعياً تُديمه التبادلية والرعاية

والالتزام. ويعكس رفضها فصل نجاحها الشخصي عن ظروف الآخرين اقتصاداً أخلاقياً يقاوم المنطقين النيوليبرالي والمؤسساتي الاستيطاني، اللذين يمنحان الأولوية للترقي الفردي، والاكتفاء الذاتي المنكفئ على نفسه، والذوات الأكاديمية المُفرغة سياسياً. ويشكل هذا الرفض موقفاً من الصمود في مواجهة اقتلاع المرء من مجتمعه وأرضه.

ولا ينفصل هذا الالتزام الأخلاقي عن تأكيد الحق في السيادة المعرفية. فرزان تُعرِّف فاعليتها الفكرية، بوضوح، بوصفها متجذرة في العمل الجماعي، وترفض التصور القائل إن الشهادات الرسمية وحدها هي التي تُنتج المعرفة أو تُضفي عليها المشروعية. إن روايتها تشكل ممارسة معرفية موقعية، تجعل المعرفة موضع مساءلة أمام بقاء المجتمع واستمراريته، عوضاً عن الاعتراف المؤسساتي. وينسجم هذا التوجه مع نقد الجنوب العالمي والنقد الأصلاني لتراتبيات المعرفية، إذ تنطوي السيادة المعرفية على الحق لا في تعريف ما يُعد معرفة فحسب، بل أيضاً في تحديد مَنْ تُنتَجُ له المعرفة، ومِنْ أيِّ موقع، ولأيِّ غاية.[48] ومن خلال مَوضعة تعلمها وغايتها المعرفية داخل مشروع النهوض بالمجتمع، لا داخل الاندماج في النماذج الأكاديمية المهيمنة، تزعزع رزان التوقع الضمني بأن الطلبة المستعمَرين يدخلون المؤسسة الأكاديمية لكي تعيد تشكيلهم وفق منطقها. وبدلاً من ذلك، تختط مساراً فكرياً يستمد معناه والتزامه الأخلاقي من خارج المؤسسة الاستعمارية الاستيطانية.

الضرورة الاقتصادية والنضال المستمر من أجل السيادة

تُشير ملاحظاتنا السابقة إلى أن التحاق الطلبة الفلسطينيين بمؤسسات التعليم العالي "الإسرائيلية" غالباً ما يكون مدفوعاً بالقيود الاقتصادية البنيوية المفروضة على الفلسطينيين، لا بتطلُّعهم إلى الاندماج أو الانتماء إلى مجتمع فكري مشترك.[49] ويُنتج ذلك توتراً تأسيسياً، إذ يقتضي السعي إلى الاستقلالية الاقتصادية، بوصفها شكلاً محدوداً من "السيادة" الفلسطينية في ظل الاحتلال العسكري، الاشتباك مع البُنى ذاتها التي تقوِّض البقاء الجمعي والتحرر السياسي.[50] وتختزل سلمى، وهي إحدى الطالبات، هذا التناقض بقولها: "الشيء الوحيد الذي تقدمه 'الجامعة العبرية' هو أن تنخرط في المجتمع 'الإسرائيلي'، وأن تتعلم كيف تتعامل مع 'الإسرائيليين' في محيطك وتفهمهم... لقد درستُ التربية، ومع ذلك لا أجد فرص عمل في مجتمعي [الفلسطيني]..."

إن "المهارات" المكتسبة في بيئة التعليم العالي ليست مهارات أكاديمية محضة، بل تكتيكات بقاء تُجبَر الذات المستعمَرة على تطويرها لكي تتعامل مع "تعايش" مفروض بالكامل وفق شروط المستعمِر. ويشمل ذلك إتقان اللغة العبرية والتكيف مع ثقافة مهنية جديدة متداخلة مع ذهنية مؤدلَجة دينياً ومَؤمنَنَة.[51] أما "فرص العمل" في القطاع اليهودي، فليست سوى وعد زائف بالإدماج، مشروط بـ "التلاعب بالهويات والعقول"، وهو ما ترفضه سلمى وطلبة آخرون. وعلى الرغم من هذه الضغوط المنظومية والصراعات الشخصية، بما فيها شعورهم بالفشل والعجز في ظل الإبادة الجماعية المستمرة في قطاع غزة، يواصل طلبة مثل سلمى مقاومة السلب المتواصل. ويستمر سعيهم الدؤوب إلى رسم مسارهم بأنفسهم، حتى حين يُواجهون انعدام الفرص داخل مجتمعاتهم

ويشعرون بأنهم مجبرون على الدخول في اقتصاد المستعمِر، متسقاً مع مفهوم الصمود بوصفه مقاومة يومية. وقد تحدث طالب آخر، هو سامح، عن هذا السعي الدؤوب إلى تقرير المصير واستعادة السيادة في ظل الهجمات الإبادية المتجذرة في منطق المحو الاستعماري الاستيطاني: "أسعى إلى بناء مشروعي الخاص بدلاً من العمل موظفاً في مؤسسة 'إسرائيلية' أو دائرة حكومية... نحن نبذل قصارى جهدنا لاستعادة السيادة... ونبذل كل ما في وسعنا لكي نصنع لأنفسنا حياةً ومستقبلاً مستقلين... إن سلوكهم وتجاهلهم لوحشية الإبادة الجماعية يؤكدان، أكثر فأكثر، أن سيادتنا على عقولنا ومستقبلنا وجماعتنا... هي الطريق الوحيد إلى التحرر."

تُسلط شهادة سامح الضوء على صيرورة فاعلة ومتواصلة من البناء الفردي والجماعي من الداخل. وهي تعبر عن فاعلية يمكن للارا واسطفان شيحا قراءتها بوصفها التزاماً بـ"ممارسة المقاومة"[52] انطلاقاً من انعدام التوافق الأيديولوجي مع الوضع القائم. ويرفض الطلبة الاستسلام لليأس أو الاندماج الكامل، ويواصلون "البحث عن فرص جديدة" للعمل، وإنشاء فضاءاتهم السيادية الخاصة من أجل حماية عقولهم ومستقبلهم وجماعتهم، وتأمين دخلٍ كريم. وتشكل هذه الممارسات أنماطاً تحول دون تمكن الآلة التدميرية الاستعمارية من الهيمنة على حياتهم. وقد أظهرنا في موضع آخر أن الطلبة الفلسطينيين عالقون داخل نظام من "سياسات المُخاتلة"، أو ما أسميناه هناك "رمالاً متحركة" تبتلعهم في جوف مجتمع المستوطنين عبر مؤسساته الأكاديمية وسوق عمله.[53] غير أن سلمى وسامح يبيِّنان هنا كيف يتحدى الطلبة الفلسطينيون النُّظُم الحَبْسية الاستعمارية الاستيطانية التي تسعى إلى السيطرة على استقلاليتهم الاقتصادية والاستيلاء عليها. ومن خلال ذلك، يفكُّون أغلالهم ويمارسون السيادة على حياتهم ووجودهم. ويشكل إصرارهم على بناء سيادة اقتصادية، وفق شروطهم هم، في ظل التدمير الإبادي والسلب الاستيطاني، شهادة على قدرتهم. فهم يحاولون تجاوز القيود الاقتصادية التي تفرضها دولة الاحتلال ومؤسساتها والإطار الاستعماري الاستيطاني، ويكافحون من أجل قدرتهم على البقاء وتحقيق سيادتهم الاقتصادية.

السيادة على المستقبل: نحو العودة الجماعية

ربط الطلبة الفلسطينيون باستمرار سعيهم إلى التعليم، لا بحاضرهم الجمعي فحسب، بل أيضاً بمستقبلٍ جمعي متجذِّر في تاريخهم الفلسطيني الموسوم بالسلب والاقتلاع. وقد وصف جواد، الذي تلقَّت عائلته أمراً بهدم منزلها بينما كان يستعد لامتحاناته الجامعية النهائية، العبء النفسي الذي تفرضه مواصلة الدراسة في ظل فقدانٍ وشيك: "لن يوقفني أيُّ شيء. لا أمرُ هدم ولا أمرُ تهجير سيجعلني أتخلى عن مستقبلي، لأن مستقبلي لا يكتمل دون التعليم. أريد أن أساعد عائلتي ومجتمعي... وهذا جزء من صمودنا، نحن الفلسطينيين، على هذه الأرض. تعليمنا يُبقينا هنا، ولا شيء سيُجبرني على الخروج من وطني. ما دمتُ أدرس، وما دمتُ ماضياً في طريقي، فلا أشعر أنهم قادرون على طردي ما دمتُ صامداً وراسخاً في أرضي."

يؤطِّر جواد الصمود في التعليم بوصفه غير منفصلٍ عن مقاومة الاقتلاع، إذ تعكس روايته فهماً للتعلم بوصفه، في آنٍ واحد، وسيلة لإدامة الوجود على الأرض وأساساً لمستقبلٍ جمعي سيادي. ويذهب جواد بهذا التأكيد

أبعد من ذلك، حين يضع المستقبل نفسه داخل أفق سياسي للعودة الفلسطينية، لا داخل أفق الإدماج الاقتصادي: "سيُهدَم بيتنا بقرار سياسي، لكنني لن أسمح للاحتلال بأن يحددني أو يحدد مستقبلي. المستقبل هو الأمل. ونحن نعرف أن الاحتلال إلى زوال. سيعود المهجرون في نهاية المطاف، ويجب أن نكون مستعدين لتلك العودة." وتطرح رواية جواد السؤال الآتي: أيُّ مستقبل يطمح إليه الفلسطينيون؟ وتتحدى شهادته التوقعات المؤسساتية المهيمنة التي تساوي بين مستقبل الطلبة الفلسطينيين والترقي الاقتصادي أو الاندماج في سوق العمل "الإسرائيلي". وبدلاً من ذلك، يؤكد جواد المستقبل بوصفه مشروعاً جمعياً موجهاً نحو "العودة" الفلسطينية. ومن خلال هذا التأكيد، يقاوم البُنى الاقتصادية والسياسية الاستعمارية الاستيطانية التي تسعى إلى طرد الفلسطيني عبر ضبط المسارات المستقبلية للأصلانيين، ويستعيد، في الوقت نفسه، السيادة على مساره الشخصي وعلى استعداد جماعته السياسي للعودة.

ومن خلال استعادته السيادة على المستقبل، يبلور جواد "العودة" الجمعية، لا بوصفها أسطورة، بل بوصفها رؤية سياسية مولِّدة للمعنى والأمل، تمكِّنه وتمكِّن آخرين من الاستمرار، من المضي والدراسة والتعلم وتخيل مسارات مستقبلية تتجاوز القيود التي تفرضها المؤسسات الأكاديمية الاستعمارية الاستيطانية. ويتقاطع هذا التوجه نحو صناعة المستقبل مع تأكيد كل من رزان وخالد أن الصمود في التعليم ممارسة أخلاقية ووجود ندِّي تُديمه العلائقية الجماعية، ويُنتجون من خلاله المعرفة والبقاء والمسؤولية على نحوٍ متكافل، بدلاً من أن يتحمل كل منهم هذه الأعباء منفرداً.

وبالنظر إلى هذه الروايات مجتمعة، يتضح أن السيادة على المستقبل تُمارَس عبر تأكيد مزدوج للعودة: عودة إلى العلائقية الجماعية التي تقاوم سياسات الأكاديميا القائمة على التجزئة الفردانية والاندماج والمحو، وعودة فلسطينية جمعية متجذِّرة في الاستمرارية التاريخية والتوقع السياسي. وضمن هذا التأطير، لا يُعبَّر عن السيادة على المستقبل من خلال الترقي المؤسساتي أو الاندماج في أسواق العمل المهيمنة، بل من خلال الترابط الجمعي، والعلائقية الأخلاقية، والمخيال السياسي المرتكز إلى أفق العودة.

السيادة الجماعية والثقافية: بناء شبكات الرعاية والتضامن

وصف الطلبة الفلسطينيون المشاركون في هذه الدراسة وجودهم معاً، مراراً، بوصفه فضاءً للتضامن والرعاية والانتماء الجمعي. وفي أوساط الطلبة الناشطين في الحركات الطلابية الفلسطينية في "الجامعة العبرية"، اتخذ هذا الوجود المشترك معنى أعمق، إذ جرى تأطيره بوصفه ضرورة سياسية في سياق الإبادة الجماعية المستمرة. ويظهر ذلك في رواية أحد ممثلي الحركة الطلابية: "خلال الإبادة الجماعية، ومن رحم الألم الذي عشناه، شكَّلنا لجنة مشتركة كان العمل فيها كله جماعياً، في ظل الملاحقة داخل الأكاديميا 'الإسرائيلية'. منحنا عملنا المشترك معنى في مواجهة سياسات الإسكات في الجامعة. وكان فعلنا الجماعي رداً على هذا الإسكات، وطريقة للجهر بموقفنا ضدّه. لقد كان فعلاً جماعياً يؤكد موقفنا المناهض للإبادة الجماعية."

وأوضح الطلبة أن تنظيمهم الجمعي، بما شمله من تظاهرات ومناصرة ومبادرات ثقافية، قوبل بمعارضة مؤسساتية. وبحسب ممثلي الحركة، اشتدت محاولات الجامعة العبرية ضبط تعبيرهم السياسي وقمعه وإسكاته بعد أن سحبت موافقتها على التظاهرة الأولى، وهو ما رواه أحد الطلبة بقوله: "عندما خطَّطنا مظاهرتنا الأولى، ألغتها الجامعة بدعوى الخشية من ردود فعل عنيفة محتملة من الطلبة 'الإسرائيليين'. وهذا ما دفعنا إلى أن نجتمع أكثر، ونفكر أكثر، ونعمل بصورةٍ أكثر جماعية. وكلما اشتد القمع علينا، ازدادت استجابتنا الجمعية قوة. وكان شعورنا المشترك أن الجامعة تستخدم حركتنا لكي تبدو وكأنها تسمح للطلبة الفلسطينيين بالتعبير عن موقفهم من الإبادة الجماعية."

وأعاد طلبة آخرون تأكيد هذا الفعل الجمعي بوصفه تمظهراً للسيادة. فقال أحدهم: "شجعنا بعضنا بعضاً على أن تكون لنا السيادة على موقفنا"، فيما عبَّر آخر عن هذا الإحساس بلغة عامية قائلاً: "هذا في جيناتنا". وفصل طالب ثالث الأهمية المادية والسياسية لهذا الإصرار الجمعي بقوله: "لقد أتاح لنا عملنا معاً أن نستمر على الرغم من الترهيب والإسكات. وصلنا إلى مرحلةٍ لا نعمل فيها إلا جماعياً، ونظل صامدين في موقفنا، ونبقى موجودين، حاضرين. لقد خلقت جهودنا المشتركة لنا فضاءً سيادياً خاصاً بنا، يقف من الأسفل في مواجهة ممارسات الجامعة."

جسدت ممارسات الطلبة الجمعية في الاحتجاج والدعم المتبادل والاشتباك الثقافي ما وصفوه بالسيادة على "الوجود"، وعلى الهوية والمعرفة، من خلال خلق فضاءاتٍ للملاذ والرعاية العلائقية في خضمّ الإسكات المعرفي والسياسي. كما وصفوا إصرارهم على رفض الإبادة الجماعية بوصفه رداً على العنف المعرفي المحيط بهم، حيث شكل الترابط الجمعي مصدراً للراحة والحماية في مواجهة المحاولات المؤسساتية والخطابية الرامية إلى المحو. وأشار الطلبة أيضاً إلى أن شعارات الاحتجاج، ولا سيما تلك التي تؤكد "نحن هنا"، عبَّرت عن تأكيد مباشر للحق في الحضور وعن رؤية سياسية واضحة. وتعكس هذه التأكيدات فهماً للسيادة لا بوصفها إدماجاً رمزياً داخل الحدود المؤسساتية، بل بوصفها تأكيداً أخلاقياً للاستمرار الجمعي، ومعارضة للبُنى الإقصائية التي ينتجها منطق المحو الاستعماري الاستيطاني، وتأكيداً وجودياً يتحقق من خلال فعلٍ سياسي واعٍ. وضمن هذا التأطير، تغدو السيادة مشروعاً جماعياً متواصلاً يتجاوز الحدود المؤسساتية للجامعة الاستعمارية الاستيطانية، ويجعل حضور الطلبة الفلسطينيين ووعيهم واشتباكهم الجمعي ممارسات نديَّة فاعلة ومتواصلة للسيادة.

كما كشفت أصوات الطلبة نقداً لأنماط الاعتراف الليبرالي،[54] التي قد يُقرأ من خلالها التحاقهم بالأكاديميا الاستعمارية بوصفه خضوعاً للمستعمِر، وكأن المستعمِر وحده مَنْ يملك حق منحهم الشهادات والاعتراف بإنجازهم الأكاديمي. وقد شددوا، أولاً، على أنهم لا يحتاجون إلى اعتراف الدولة الاستعمارية الاستيطانية ومؤسساتها الأكاديمية، ولا يسعون إليه. وبدلاً من ذلك، أكدوا استقلاليتهم وندِيَّتهم وسيادتهم من دون حاجة إلى اعتراف خارجي. وصان موقفهم الفكري والسياسي سيادتهم على حكم ذواتهم وهويتهم وعلائقيتهم، التي تسند قدرتهم على البقاء في وطنهم، من دون الخضوع لتقنيات المحو الاستعمارية الاستيطانية. ثانياً، وانطلاقاً

من الأرض والجماعة والإرث التاريخي، أوضح الطلبة أن حيواتهم الأكاديمية والسياسية-الاجتماعية تتجاوز الهيمنة التي تشرعنها الجامعة وتفرضها. ومن خلال صون حقهم في تقرير مصيرهم وفق شروطهم الخاصة، قدموا تمظهرات متعددة لسيادة علائقية عصية على الاحتواء داخل أطر الضبط الاستعمارية، سواء أكانت تعليمية أم اقتصادية أم قانونية أم سياسية أم نفسية.

الخاتمة: نضال من أجل السيادة الوجودية

تكشف سرديات الطلبة أن نضالهم داخل الأكاديميا الاستعمارية هو، في نهاية المطاف، نضال من أجل السيادة الوجودية—أي الحق في الوجود، وتعريف ذواتهم، والعيش في العالم وفق شروطهم الخاصة، بعيداً عن التجريد من الإنسانية الذي يفرضه الاستعمار الاستيطاني في ظل الإبادة الجماعية. وليس "الانفصام" النفسي، بحسب وصف الطلبة الفلسطينيين، مجرد آلية للتكيف مع الوضع القائم، بل هو تمظهر استراتيجي لسيادتهم، ورفض للسماح للبيئة الاستعمارية باحتلال عقولهم وأجسادهم بالكامل. وبإصرارهم على التمسك بهويتهم في ظل الضغوط التي تدفعهم نحو الاندماج أو التطبيع مع اختلالات القوة، يجسدون دعوة سيلفيا وينتر[55] إلى تجاوز التعريف المحدود لـ"الإنسان الاستعماري"، ساعين بدلاً من ذلك إلى بناء ذواتهم على أسسٍ مختلفة. ومن داخل الأكاديميا الاستعمارية الاستيطانية، وفي خضم الإبادة الجماعية لشعبهم في قطاع غزة والعسكرة المكثفة لحيواتهم في القدس المحتلة، لم يمارس الطلبة سيادتهم بوصفها موقفاً وجودياً متجذراً في تاريخهم وإرثهم وذاكرتهم الجمعية فحسب، بل بوصفها أيضاً سيادة علائقية متجذرة في تجاربهم المعيشة وتواريخهم ومساراتهم المستقبلية الجمعية. وتُسهم تشكيلاتهم الوجودية-المعرفية في النقاشات المتواصلة داخل دراسات التحرر من الاستعمار والدراسات الأصلانية، إذ تقترح أن السيادة لا تُفهم بوصفها سعياً إلى نيل الاعتراف فحسب، بل بوصفها ممارسة وجودية-معرفية موقعية وعلائقية ومُعاشة، لا تتجاوز الأُطر الحَبْسية البنيوية والمؤسساتية والدولاتية فحسب، بل يمكنها أيضاً تفكيكها.

وعليه، نستنتج أن الاشتباك الفعلي مع السيادة الأصلانية يتطلب مواجهة منطق التملك الذي يحكم الأكاديميا الاستعمارية، وتعرية وظيفته بوصفه أداةً من أدوات الحكم الاستعماري الاستيطاني.[56] وقد جسدت أصوات الطلبة هذا التحدي عبر جهودهم المتواصلة لمقاومة الاحتلال الشامل لحيواتهم وعقولهم. واستمر تمسكهم بالسيادة على العقل والحياة، عبر أشكالٍ من الوجود المتجذرة أخلاقياً وجماعياً، حتى وهم يواجهون الانفصام النفسي، والإنهاك الوجداني، والإكراه الاقتصادي. وتكشف تمظهرات السيادة هذه عن جهدٍ دؤوب لتحقيق وجودٍ متحرر من الاستعمار في مواجهة تهديداتٍ وجودية دائمة.

ويرتبط هذا السعي إلى السيادة الوجودية ارتباطاً عضوياً بأفعال الرفض المعرفي—أي الرفض المتعمَّد لأنظمة المعرفة واللغة والسرديات التي يُنتجها المستعمِر. واستناداً إلى تنظير أودرا سمبسون للرفض بوصفه تعطيلاً للسلطة والمشروعية وسياسات الاعتراف والاحتواء،[57] نفهم من خلال هؤلاء الطلبة أن الرفض ممارسة سيادية

تشكل ندّاً ينازع السلطة التي تزعمها المؤسسة لنفسها. ويشكِّل طموح الطلبة إلى إنشاء "موسوعة فلسطينية بأيدٍ فلسطينية"، تروي "سرديتنا بمصطلحاتنا"، رفضاً قوياً للوظيفة الأيديولوجية التي تؤديها الأكاديميا الاستعمارية، وتبنياً للكينونة الوجودية والنُّظُم المعرفية الأصلانية. وبتعرية تقنيات غسيل الدماغ ورفض "إرضاء المانح"، ينخرط طلبة مثل محمد وجود وسلمى، على نحوٍ فاعل، في "تفكيك استعمار العقل"، كما تصوَّره نغوغي وا ثيونغو.[58] ويعيد هذا التمظهر للسيادة على العقل، أي العقل الذي عدَّه بيكو "أقوى سلاح"، توجيه السيادة نحو التحرر والتحقق الجماعي، عوضاً عن الاندماج في البنية الاستعمارية. وفي نهاية المطاف، تسعى سردياتهم إلى تفكيك محاولة مؤسسات التعليم العالي الاستعمارية توظيف الحضور الأصلاني داخلها بوصفه أداة لإضفاء الشرعية على ذاتها، وتقديم نفسها بوصفها فضاءات منفتحة وتعددية، وإلى ممارسة السيادة من داخلها ومواجهة بنية السلطة الأكاديمية الاستعمارية ذاتها

الإحالات

[1] Walter D. Mignolo, "Epistemic Disobedience, Independent Thought and Decolonial Freedom," *Theory, Culture & Society*, Nos. 7–8 (2009): 159–181; Walter D. Mignolo, *Local Histories/Global Designs: Coloniality, Subaltern Knowledges, and Border Thinking* (Princeton, NJ: Princeton University Press, 2012); Sabelo J. Ndlovu-Gatsheni, "Epistemic Injustice" in *Knowledge for the Anthropocene*, ed., Francisco J. Carrillo and Günter Koch (Cheltenham, UK: Edward Elgar Publishing, 2021), 167–177; Dylan Rodríguez, "Racial/Colonial Genocide and the 'Neoliberal Academy': In Excess of a Problematic," *American Quarterly*, No. 4 (2012): 809–813; Michalinos Zembylas, "Reimagining Political Concepts in Decolonisation Debates: Franz Fanon's Zone of Nonbeing and Comparative Education," *Compare: A Journal of Comparative and International Education* (2025): 1–15.

[2] Frantz Fanon, *Black Skin, White Masks*, trans. by Charles Lam Markmann (New York: Grove Press, [1952] 1967).

[3] Steve Biko, *I Write What I Like: A Selection of His Writings*, ed., Aelred Stubbs (London: Heinemann, 1978).

[4] Ngũgĩ wa Thiong'o, *Decolonizing the Mind: The Politics of Language in African Literature* (London: James Currey, 1986).

[5] تُستخدم كلمة "ند" بالعربية لوصف شخصٍ مساوٍ، أو عدو، فهي تصف علاقةً متكافئةً قائمةً على التماثل، ولكنها تُستخدم فقط لوصف شخصية متكافئة تعارض الآخر.

[6] Ephraim Lavie, Meir Elran, Mohammed S. Wattad, Esteban Klor, Tomer Fadlon, and Derek Lief, *Reducing Budget Allocations for the Arab Sector May Harm Internal Security*, No. 1753 (Tel Aviv: Institute for National Security Studies, 2023).
https://www.inss.org.il/publication/arab-society-budget/.

[7] Ibid.

[8] Ephraim Lavie, Sasson Hadad, and Meir Elran,
"الخطة الإسرائيلية لتقليص الفجوات الاقتصادية والاجتماعية في القدس الشرقية: تداعيات وتوصيات"
Strategic Assessment, No. 3 (2018): 3–14.

[9] Anwar Qadah, "Education in Jerusalem: A Tool of Soft Colonialism," trans. by Samira Jabaly, *Jerusalem Quarterly*, No. 95 (2024): 101–105.

[10] Al-Khansaa Diab, "Going West: Temporary Immigration and the Higher Educational Journey of Palestinian Students from East to West Jerusalem," *Journal of International Students*, No. 3 (2026): 1–34; Rabah Halabi, "Palestinian Students in an Israeli-Hebrew University: Obstacles and Challenges," *Higher Education*, No. 3 (2023): 661–673; Helen Kakounda-Muallem, "The Cultural Identity of Education Students from East Jerusalem Studying in an Israeli College in West Jerusalem," *Journal of the European Teacher Education Network* (2022): 70–92; Rawan Asali Nuseibeh, Aviv Cohen, and Zvi Bekerman, "Alone Together: Experiences of Palestinian East Jerusalem Students Studying at an Israeli University," *Higher Education*, No. 1 (2024): 19–36; Abeer Otman and Nadera Shalhoub-Kevorkian, "The Politics of Acquiring the Colonizer's Language in the Colonial Academy," *Middle East Critique*, No. 1 (2026): 1–19; Hiba Rabadi, Zvulun Silberstein, and Ifat Maoz, "Difficulties, Experiences, and Feelings of the Palestinian Female Students from East Jerusalem Regarding Their Intergroup Encounter with Israeli-Jews in Israeli Academic Settings," *Peace and Conflict: Journal of Peace Psychology*, No. 3 (2023): 247–252; Nadera Shalhoub-Kevorkian and Abeer Otman, "Against Carceral Expansion: Academic Quicksand in Times of Genocide," *Abolitionist Perspectives in Social Work*, No. 2 (2025): 1–22; Nadera Shalhoub-Kevorkian and Abeer Otman, "'More Rifles Than Laptops': Palestinian Students' Experiences of Social Work Education in Times of Genocide," *Critical and Radical Social Work* (2025): 1–21.

[11] يارا سعدي-إبراهيم وخالد جمال فوراني (تحرير)، في جوف الحوت: **تجارب فلسطينية في الجامعات الإسرائيلية** (القدس؛ عكا: معهد فان لير في القدس ودار ليلى للنشر والترجمة، 2022)؛ Maya Wind, *Towers of Ivory and Steel: How Israeli Universities Deny Palestinian Freedom* (London: Verso, 2024).

[12] Noura Erakat, "'If You Normalize Genocide, You Will Have Nothing Left': Noura Erakat to the UN," *Journal of Palestine Studies*, No. 2 (2025): 75–81; Darryl Li, "The Gaza Strip as Laboratory: Notes in the Wake of Disengagement," *Journal of Palestine Studies*, No. 2 (2006): 38–55; Nadim N. Rouhana, "Israel as a 'Democracy of Masters': On the Politics of an Exclusive Jewish Homeland," *British Journal of Middle Eastern Studies* (2025): 1–18; Sherene Seikaly, "Palestine Is a Paradigm," *Public Humanities* (2025):1, e179; Nadera Shalhoub-Kevorkian, "Five Pillars of Zionist Genocidal Apparatus: A Palestinian Problematization of Genocide Studies," *Journal of Genocide Research* (2025): 1–13.

[13] تُشير كل من ريبيكا تايلور ونيكول ليندال-رويز، في مقالتهما "Epistemic Carcerality and Resistance in Higher Education"، إلى مفهوم منطق الحبس المعرفي (Epistemic carcerality) بوصفه شكلاً من أشكال القمع المتأصل في الدولة التي يمكن وصفها بالدولة الحبسية، أو الدولة التي تقوم على المنطق الحبسي، وهو الشكل الذي يُلحق الأذى بالأفراد الذين يحتكون بالنظام الحبسي بوصفهم ذواتاً عارفة، لا سيما أولئك الذين خاضوا تجربة الاعتقال. كما يُلحق ضرراً أوسع بقدرة المجتمعات على إنتاج المعرفة والعلاقات المعرفية فيما بينها على نطاقٍ أوسع. تُشير الكاتبتان إلى أن تصورهما المفاهيمي لمنطق الحبس المعرفي يتصف بثلاث سماتٍ أساسية: (1) يقيد منطق الحبس المعرفي على نحوٍ ظالم فاعلية الأشخاص المنخرطين في النظام عبر إقصائهم من القدرة على استخدام الموارد المعرفية المشتركة، وكذلك التأثير في عملية تنقيحها ومراجعتها؛ (2) تنفذ هذه القيود المفروضة على الفاعلية المعرفية لهؤلاء الأفراد إلى السياقات المؤسساتية، وتستمر تأثيراتها وقيودها على مدى حياتهم؛ (3) تُلحق هذه القيود الضرر بالأشخاص المنخرطين في النظام وبكل أفراد المجتمع، أفراداً وجماعات. وعليه، فإن منطق الحبس المعرفي شكلٌ من أشكال القمع الذي يفرض القيود على الأشخاص المنخرطين في النظام، فتمنعهم من استخدام الموارد المعرفية المشتركة والمساهمة فيها بطرقٍ تنفذ على نطاقٍ واسع وتتسم بالاستمرارية الدائمة، ما يترتب عليه ضررٌ بالأفراد وبجميع أفراد المجتمع على المستويين الفردي والجماعي [المترجم].

انظر: Rebecca M. Taylor and Nicole Lindahl-Ruiz, "Epistemic Carcerality and Resistance in Higher Education," *AERA Open* (2025): 1–18.

[14] Kristie Dotson, "Tracking Epistemic Violence, Tracking Practices of Silencing," *Hypatia*, No. 2 (2011): 236–257.

[15] Santiago Castro-Gómez, "The Social Sciences, Epistemic Violence, and the Problem of the 'Invention of the Other'" in *Unbecoming Modern: Colonialism, Modernity, Colonial Modernities*, 2nd ed., ed., Saurabh Dube and Ishita Banerjee-

Dube (London: Routledge, 2019), 211–227; Dotson, op. cit.; Barbara S. Held, "Epistemic Violence in Psychological Science: Can Knowledge of, from, and for the (Othered) People Solve the Problem?" *Theory & Psychology*, No. 3 (2020): 349–370; Gayatri Chakravorty Spivak, "Can the Subaltern Speak?" in *Imperialism*, ed., Peter H. Cain and Mark Harrison (London: Routledge, [1988] 2023), 171–219.

[16] Ismael Abu-Saad, "Palestinian Education in the Israeli Settler State: Divide, Rule and Control," *Settler Colonial Studies*, No. 1 (2019): 96–116;

ساعة اختبار: حرية التعبير للعربيات والعرب في الأكاديميا زمن الحرب (د. م.: aChord، 2024). (بالعبرية)؛

https://www.achord.org.il/_files/ugd/e9f8ab_a2d653c1f3bd4b48a18855120eef1a7a.pdf

Daphna Golan and Nadera Shalhoub-Kevorkian, "Engaged Academia in a Conflict Zone? Palestinian and Jewish Students in Israel" in *Understanding Campus-Community Partnerships in Conflict Zones: Engaging Students for Transformative Change*, ed., Dalya Yafa Markovich, Daphna Golan, and Nadera Shalhoub-Kevorkian (Cham: Palgrave Macmillan, 2019), 15–38; Wind, op. cit.

[17] سعدي-إبراهيم وفوراني، مصدر سبق ذكره، 13.

[18] يصف مصطلح الإبادة المعرفية (Sophicide) الإبادة المتعمدة التي يمارسها نظام الاستعمار الاستيطاني ضد تقاليد المعرفة الأصلانية المتصلة بالأرض ذاتها، وضد من يحملون هذه المعرفة، بمن فيهم كبار السن والنساء. ويشمل المصطلح أيضاً إبادة المؤسسات التعليمية والأكاديمية، وسحق الحياة الأصلانية وعملية التعلم عبر القتل المنهجي للطلبة والمربين والمعلمين والباحثين والعلماء والأكاديميين والكتاب والقادة الروحيين والمؤرخين والمبدعين والشعراء، فضلاً عن تدمير كل ما يتصل بنسيج إنتاج المعرفة الأصلانية، من مكتبات ومواقع أثرية ومؤسسات أرشيفية. وبهذا، يتمكن الاستعمار الاستيطاني من سحق جيل كامل من حملة المعرفة الأصلانية وركائزها، وإحداث قطيعة وفجوة لا يمكن ردمهما أو ترميمهما مرة أخرى (المترجم).

[19] Palestinian Feminist Collective, "A Feminist Praxis for Academic Freedom in the Context of Genocide in Gaza," *Mondoweiss*, 11 April 2024, accessed 17 August 2026.

https://mondoweiss.net/202404//a-feminist-praxis-for-academic-freedom-in-the-context-of-genocide-in-gaza/.

[20] Rana Barakat, "Writing/Righting Palestine Studies: Settler Colonialism, Indigenous Sovereignty and Resisting the Ghost(s) of History," *Settler Colonial Studies*, No. 3 (2018): 349–363.

[21] Robert Allen Warrior, "Intellectual Sovereignty and the Struggle for an American Indian Future," *Wicazo Sa Review*, No. 1 (1992): 1–20, 6.

[22] Eve Tuck and K. Wayne Yang, "Decolonization Is Not a Metaphor," *Decolonization: Indigeneity, Education & Society*, No. 1 (2012): 1–40.

[23] Linda Tuhiwai Smith, *Decolonizing Methodologies: Research and Indigenous Peoples* (London: Zed Books, 1999); Tuck and Yang, op. Cit.

[24] Linda Tuhiwai Smith, "On Tricky Ground: Researching the Native in the Age of Uncertainty" in *The Sage Handbook of Qualitative Research*, 3rd ed., ed., Norman K. Denzin and Yvonna S. Lincoln (Thousand Oaks, CA: Sage Publications, 2005), 85–107; Dennis Foley, "Indigenous Epistemology and Indigenous Standpoint Theory," *Social Alternatives*, No. 1 (2003): 44–52; Margaret Kovach, "Emerging from the Margins: Indigenous Methodologies" in *Research as Resistance: Revisiting Critical, Indigenous, and Anti-Oppressive Approaches*, 2nd ed., ed., Susan Strega and Leslie Brown (Toronto: Canadian Scholars' Press, 2015), 43–64.

[25] Lorraine Code, *What Can She Know? Feminist Theory and the Construction of Knowledge* (Ithaca, NY: Cornell University Press, 1991); Kathy E. Ferguson, "Feminist Theory Today," *Annual Review of Political Science*, No. 1 (2017):

269–286; Sandra Harding, ed., *The Feminist Standpoint Theory Reader: Intellectual and Political Controversies* (New York: Routledge, 2004); Bell Hooks, *Feminist Theory: From Margin to Center* (London: Pluto Press, 2000); Nadera Shalhoub-Kevorkian, "Palestinian Women and the Politics of Invisibility: Towards a Feminist Methodology," *Peace Prints: South Asian Journal of Peacebuilding*, No. 1 (2010): 1–21; Nadera Shalhoub-Kevorkian, "The Politics of Birth and the Intimacies of Violence against Palestinian Women in Occupied East Jerusalem," *British Journal of Criminology*, No. 6 (2015): 1187–1206; Dorothy E. Smith, *The Conceptual Practices of Power: A Feminist Sociology of Knowledge* (Boston: Northeastern University Press, 1990).

[26] Kate Coddington, "Voice Under Scrutiny: Feminist Methods, Anticolonial Responses, and New Methodological Tools," *Professional Geographer*, No. 2 (2017): 314–320; Harding, *The Feminist Standpoint Theory Reader…*, op. cit.; Hooks, op. cit.; Shalhoub-Kevorkian, "Palestinian Women and the Politics of Invisibility…," op. cit.; Shalhoub-Kevorkian, "The Politics of Birth…," op. cit.

[27] Hooks, op. cit.

[28] Ferguson, op. cit.

[29] Ndlovu-Gatsheni, op. cit.

[30] Sylvia Wynter, "Unsettling the Coloniality of Being/Power/Truth/Freedom: Towards the Human, After Man, Its Overrepresentation—An Argument," *CR: The New Centennial Review*, No. 3 (2003): 257–337.

[31] Otman and Shalhoub-Kevorkian, op. cit.; Shalhoub-Kevorkian and Otman, "Against Carceral Expansion…," op. cit.; Shalhoub-Kevorkian and Otman, "'More Rifles Than Laptops'…," op. cit.

[32] Barakat, op. cit.

[33] Shalhoub-Kevorkian and Otman, "'More Rifles Than Laptops'…," op. cit.

[34] Frantz Fanon, *The Wretched of the Earth*, trans. by Constance Farrington (New York: Grove Press, [1961] 1965).

[35] Shahnaaz Suffla and Mohamed Seedat, "Africa's Knowledge Archives, Black Consciousness and Reimagining Community Psychology" in *Decoloniality and Epistemic Justice in Contemporary Community Psychology*, ed., Garth Stevens and Christopher C. Sonn (Cham: Springer, 2021), 21–38.

[36] Fanon, *Black Skin, White Masks*, op. cit.

[37] Zembylas, op. cit.

[38] Wynter, op. cit.

[39] Lena Meari, "Sumud: A Palestinian Philosophy of Confrontation in Colonial Prisons," *South Atlantic Quarterly*, No. 3 (2014): 547–578; Ashjan Ajour, "Strength, Continuity and Steadfastness (Sumud)" in *Reclaiming Humanity in Palestinian Hunger Strikes: Revolutionary Subjectivity and Decolonizing the Body* (Cham: Palgrave Macmillan, 2021), 255–271.

[40] Tamara Taher, "Practicing Wujud: A Constellation of Sumud in the Fragmented Palestinian Present," *Middle East Critique*, No. 2 (2024): 263–281.

[41] Biko, op. cit.

[42] Fanon, *The Wretched of the Earth*, op. cit.

[43] Barakat, op. cit.

[44] Ngũgĩ wa Thiong'o, op. cit.

[45] Paulo Freire, *Pedagogy of the Oppressed*, trans. by Myra Bergman Ramos (New York: Continuum, [1968] 2000).

[46] Biko, op. cit., 101.

[47] يُستخدم مصطلح "الوعي النقدي التحرري" هنا مقابلاً لمفهوم conscientização عند باولو فريري. ولا يحيل المصطلح إلى الوعي النظري أو المعرفي وحده، بل إلى سيرورة نقدية يتحرك فيها المضطهَدون من إدراك واقع القهر، إلى تسمية البُنى التي تنتجه، ثم تأمل موقعهم داخلها، وصولاً إلى فعل جماعي يسعى إلى تغييرها. وبهذا المعنى، فهو وعي نقدي لأنه يكشف علاقات السلطة والقهر، وتحرري لأنه لا يكتفي بالكشف، بل يتجه إلى تحويل الواقع عبر العلاقة بين التأمل والفعل، أو ما يصفه فريري بـ praxis (المترجم). انظر: Freire, op. cit.

[48] Ngũgĩ wa Thiong'o, op. cit.; Mignolo, "Epistemic Disobedience…," op. cit.

[49] Otman and Shalhoub-Kevorkian, op. cit.; Shalhoub-Kevorkian and Otman, "Against Carceral Expansion…," op. cit.

[50] Lavie, Hadad, and Elran, op. cit.; Otman and Shalhoub-Kevorkian, op. cit.; Qadah, op. cit.; سعدي-إبراهيم وفوراني، مصدر سبق ذكره؛ Shalhoub-Kevorkian and Otman, "Against Carceral Expansion…," op. cit.; Wind, op. cit.

[51] Shalhoub-Kevorkian and Otman, "'More Rifles Than Laptops'…," op. cit.

[52] Lara Sheehi and Stephen Sheehi, *Psychoanalysis under Occupation: Practicing Resistance in Palestine* (London: Routledge, 2022).

[53] Shalhoub-Kevorkian and Otman, "Against Carceral Expansion…," op. cit.

[54] Glen Sean Coulthard, *Red Skin, White Masks: Rejecting the Colonial Politics of Recognition* (Minneapolis: University of Minnesota Press, 2014).

[55] Wynter, op. cit.

[56] Sandy Grande, *Red Pedagogy: Native American Social and Political Thought*, 10th anniversary ed. (Lanham, MD: Rowman & Littlefield, 2015).

[57] Audra Simpson, *Mohawk Interruptus: Political Life across the Borders of Settler States* (Durham, NC: Duke University Press, 2014).

[58] Ngũgĩ wa Thiong'o, op. cit.